



عرض ونقد لرواية «أيام مع»

# حماستك كسائرة !

بقلم فضل السبيعي

لهاشقة الثائرة ، لم تقتصر الشاعر اقتسارا .. ان المشاعر الثائرة ، التي تقص بها القصة في كل فصل من فصولها ، بل في كل صفحة من صفحاتها ، انما هي من قبيل ما يعتلج قلب كل فتاة تأسرها عاطفة الحب ، فتصادفها الصعاب الكبيرة ، فاذا هي ثور على القيود ، وتكفر بالمثل الصنمية الجامدة ، وتجمع ، الى ان يتبدى لها وجه الحقيقة ، فترتد الى الواقع ، وقد انهكها النضال والثورة والشموس .. وما فعلت كوليت ، ان عبرت عن هذه الاحاسيس بجرأة وصراحة ووضوح ، وهو عين ما يتطلبه «الصدق الروائي» ، فكان ان انطلقت اجنحتها الصغيرة تروء اجواء الفن الصادق الثائر ، فنظرنا اليها في مودة واعجاب ، وانها لثورة حقيقة بالاعجاب مهما قيل في جموح هذه الثورة ونظرفها وايغالها .

احبت «ريم» الفتاة الشاعرة ، «زياد» الشاب الموسيقي ، وهو على غير دينها . فلامها المجتمع ، ممثلا في اقارب لها وصديقات ، فما لانت ، وكفرت بالنصح بسدى لها في سبيل اخلاصها للعاطفة المنتفضة في سويداء قلبها .

وكانت تربطها بالفن «الفريد» آصرة خطبة ، فتحللت منها او كادت لماذا ترتبط بمن لا تحب ولا تميل اليه ، وبمن تراه انانيا محبا لذاته ؟ انها صادقة مع نفسها وقلبيها . تحب زياد ، لا الفريد . فترتبط بمن تحب برابطة الحب وحدها .. ثم تترقب ان يحين ذلك اليوم الذي يشدها فيه اليه رباط الزوجية السعيدة .

✱

ابتدأت القصة لترسم لنا شخصية ريم ، فتاة رومنثيكية تحن الى المجهول :

« كانت اقضى ساعات ايامي ساعات الليل .. فادخل غرفتي الموحشة ، وارتمى على سريري ، واغمض عيني رغبة في النوم والنسيان ، فيرغب النوم عن عيني ، واهب من فراشي ، واقضي ساعات اذرع بيتسي جيئة وذهابا .. ثم تحملني قدمي الى الشرفة ، فانظر الى السماء ، ويلوب خيالي بين النجوم ، وابحث .. وابحث ، علني اجد .. بين النجوم .. انسانا .. علني اجد صديقا . وكم من مرة ابتسمت حزينة للقمر ، وناجيته ، لانه يسهر كل ليلة وحيدا .. مثلي انا ... »

وتجد ريم هذا الصديق .

كان في الاربعين من العمر ، وهي بنت عشرين ، وكان طويلا ممتليا

اما العاشقة ... فهي «ريم» الفتاة ، الشرقية ، العربية ، من قلب دمشق !

واما الثورة ... فعلى المجتمع ، تقاليد وقيوده ، وعلى الحب نفسه !

واما صانع هذين ، العشق والثورة كليهما ، فالادبية السورية الشاب «كوليت سهيل» في قصتها الاولى المطولة «ايام مع» ، التي قيل فيها : «انها ثورة ... في عالم الادب» !

ان هذه القصة المطولة ، تمثل الابداع الفني للادبية كوليت التي عرفناها ، قبل اليوم ، تتسلى بنظم الاشعار باللغة الفرنسية ، فاذا هي تطلع على جمهرة القراء فجأة بهذا الكتاب ، فتذهل كتاب القصة ، وتعال اعجابهم الشديد مهما حاول بعضهم ان يكتموه خلف الضلوع ولا يوحوا به! على ان الدوي الذي احدثته هذه القصة في عالم الصحافة ، كان ذا حدين متناقضين : ما بين اعجاب معجب ، وبين سخط ساخط ، ولو ان الاعجاب هو الغالب . ولقد فاق هذا الدوي كل حد ، وغلا غلوا عجيبا ، حتى لقد نسجوا حول الكاتبة هالة من الهالات ، وخلعوا عليها من الصفات والسمات ما بانت تكره هي على نفسها قبل سواها .. وما ذاك ، الا لان القلم الذي ابدع «ايام مع» ، انما امسكت به انامل انثى ... ولطالما قصر الادب النسوي عن ادب الرجال في بلادنا الشاؤ البعيد ، فكان التهليل هو الصدى المنتظر لكل عمل ابداعي تدفعه الى الجمهور سيدة .. واحبب به من تشجيع تستحقه المرأة ، الى ان تحاذي الرجل ، فيكون اذاك بينهما تراحم واستباق ، ويكون التهليل لها بقدر وحسبان .. ولعل ذلك اليوم ليس بالبعيد .

ولقد اعجبني الفن في هذه القصة التي تخطها انامل لم تكتب القصة قبل اليوم ، مثلما اعجبني ، في بطلتها ريم ، التحرر والتمرد والجرأة والاندفاع والجموح .. ثم ضيقها بالرواسب تعلق بالاذهان ، وبالشوائب تجبل التفكير والقول والتصرف !

احست ريم بالرغائب الانسانية تنتفض في صدرها ، فما سكنت عنها ، ولا حاولت وادها ، ولكنها سعت الى تحقيق مالها ، فلقبت في دربها الصدمات ، فما زعزعتها الصدمات ، وظلت ماضية قدما : فذافت الحب ، ونعمت به ، وشقيت به ، واترعت كاسها منه عبودية وطلاوة ، ثم شجنا وانينا ، الى ان صارت الى نهايتها ، حيث كيفت على اساسها رغائبها الاولى ، فاستراحت عند ذاك مطامحها وامانيها .. وتلك خاتمة المطاف .

والؤلفة كوليت سهيل ، في تصويرها المراحل العاطفية والنفسية

عن عاطفة الامومة بهذا الاجاز والصدق والصفوة والسمو ؟  
تعرفت ريم بزياد عند بانع الورد ، وكان تعارفا جميلا صنعته لنا  
الكاتبة . وجاء اللوم ينقض ظهر ريم : اتركه ، يا ريم ، ابتعدي عنه ،  
الفارى بينكما كبير!  
ورافقته الى السينما غير آبهة . وارتياد الفتاة الاماكن العامة ،  
بصحبة شاب لا تربطها به قرابة ، يفارب ان يكون في عرف المجتمع  
جريمة . .  
وجعلت ريم تفكر :

« كم من فتاة تذهب وحيدة الى السينما ، وعندما تطفأ الانوار ، ياتي  
صديقها ، ويجلس الى جانبها ، وتتحاشى البقاء معه حتى نهاية العرض  
فيخرج قبل ان تضيء القاعة الانوار ؟ .. وكم من فتاة تذهب الى شقة  
شاب اعزب ، مستترة باجنحة الظلام ، وتخرج من عنده على رؤوس  
اصابعها ، وتعود الى بيتها لتخبر امها انها كانت .. « عند الجارة »  
سنار الخبث ! لماذا تسدله الفتاة على افعالها في بلدي ؟ طبعاً لانها  
لا تحترم التقاليد !! هل اكون انا كلاخريات ؟ .. »

وماجت الثورة في اعماقها .  
« ما اغيب الاهل الذين يجبرون فتياتهم على اقرار مثل هذه  
الافعال ! وما اقبح المجتمع الذي لا يحب الصراحة ! المجتمع السني  
يؤثر الدعارة في الخفاء على الابتسامة الطاهرة علناً . »  
أرايت الى هذه الثورة ؟!  
ورافقت ريم زياد الى السينما :  
« مد ذراعيه بصورة طبيعية ، واحاط كتفي وظهري ليحميني اولاً من

الجسد ، وكان موسيقياً لامعاً ، قد جاب الامصار ، وعاش في بعض  
العواصم الاوروبية سنين ، فاكتسب خبرة وتجربة ، وعاشر من النساء  
الاصناف التي يعاشرها الغرب في بلد تقص بالنساء شوارعه ومنتدياته!  
ووقعت ريم في شبابه ، مع فارق السن ، والدين ، والتجربة ، ورهافة  
الحس .

كان موسيقياً مخلصاً لفننه وحده ، لا يرى في الحب الالذة مادية  
عابرة لا تستحق الاخلاص ، فالاخلاص لفرن . . . . وهو يريد لها ان تخص ،  
الاخرى ، لفننها ، لشعرها .

« انت خلقت كيما تكونين فنانة ، لماذا لا تكتنين ؟ هل نصب نبع  
الهامك ؟ استفيدني من مواهبك ، اكتبني . . . استثمري حروفك . . . صحي  
من اجل فنك ، واجعلي من الفن حياتك لا من الحب ! الحب ! الحب !  
عاطفة سخيفة ، وزائلة . . .  
« انت لا تجني ! »

« - لاتفهمي كلامي خطأ ، ارجوك ! انا احبك حباً عميقاً ، عميقاً جداً ،  
ولكن هذا الحب الذي تتحدثين عنه ، انا لا اومن به اصلاً . . . ! يا ريم ،  
الفن وحده يخلدوكلنا الى زوال ، الفن يبقى بعدنا ، لكن الفن يحتاج  
الى تضحية ، انا احب فني . . . حاولي ان تفهميني ، انا مطارد صور  
وصياد انعام . . . الفن بحاجة الى مواد اولية ، وانت لا تقدرين ذلك ،  
ان حبك الجنوني يحده من حريتي كفنان . . انا احبك ، ولا اريد فتاة  
غيرك . . مطلقاً . . انا معك دائماً . . ولكن ارجوك افهمي فني . . . »  
كذلك يقابل زياد المحرب ، حب هذه الفتاة العاشقة التي تريد ان  
تهبه قلبها . لكم كرهنا زياد على فلسفته . . . لكم اشفقنا على ريم  
الفتاة الغريبة !

وعندما مالت اليه ميلها الشديد وولمت به ، ارادت ان تكاشفه في  
زواج :

« - زياد . . . الا تشعر بالوحدة ؟  
« - الوحدة ؟ الوحدة خصبة يا ريم . . . خصبة جداً . . انا لا اعيش  
وحيداً . . . انا اعيش مع فني والحاني . . . ثم انا احب الحرية ،  
والحرية توجد في الوحدة . . . انا لا استطيع ان ارتبط بقيود . . . ان  
ذلك يحده من آفاق فني . . لا . . . انا احب الوحدة . . .  
« فهمت ان زياد يستبعد فكرة الزواج ، وانه لم يشعر بعد بصفيق  
الوحدة . . . » كنت ساقول انني في حاجة الى شخص حبيب يفي الى  
جانبي ، ويدلني على طريقي . . . ويدفني فيه . . . ! شخص يسدد  
ضياعي وخوفي ، ويعطي معنى لوجودي ، فاجد في ظله الامان ، ثم  
اكتب . . . واكتب . . . واكتب . . . »

احبنا ريم في حينها الى المجهول ، وخوفها من الوحدة . . . وازداد  
كرهنا لزياد ، الذي ينفر من اسرار الحب الجميل .  
بل انها لتطلب منه طفلاً ، عندما تتبثق في حناياها عاطفة الامومة ،  
الى جوار الخوف من الوحدة ، وهل انبل من الامومة تبدد وحدة المرأة ؟  
« - الى اي درجة تجبينني ؟  
« رفعت نحوه عينين ادمعهما الوجد ، وقلت بصوت ترفرت فيه  
الانوثة :

« - احبك . . . احبك الى درجة انني اضحي باي شيء . . . اي  
شيء عندي من اجلك . . .  
« ثم تمتمت : « - واريد . . . اريد ان اعطيك . . . طفلاً . . . »  
هذه العاطفة خلقت لتعبر عنها المرأة . . هل من رجل يعبر في قصة

الجموع المحتشدة ، ثم من  
ظلام المر . وددت لو  
يقي دائماً هكذا ،  
كبيراً . . . جدياً . . . قوياً . .  
يشعر بضعفي فيحميني  
.. تمنيت لو تظل هذه  
الذراع تحيط كتفي ، وترفع  
عنهما مسؤولية الحياة . . »

يا لهذه المشاعر من  
اشوية دافئة ، الادب جدير  
بان تبوح اليه بها  
انثى جريئة صادقة .  
وجاءت اليها جدها  
نعانها مستظرة اللب :  
« - ريم . . اصحيح انك  
كنت في السينما ، منذ  
يومين ، مع شاب ؟  
« اجبتها بصورة طبيعية :  
« - نعم . . لماذا ؟  
« - ريم ماذا دهالك ؟

هل جننت ؟  
« - على العكس يساً  
« تينا . . . لقد ابتدأت  
اعقل . . . » !!

بعد قصة تجاربي مع الحقيقة  
لفانزي

والعالم للمرابيع

تقدم كتاباً عالمياً آخر  
للطبيخ

عشر قدي  
فانزي

للكتور

واجندل برازاد

رئيس جمهورية الهند

تعريب: هنير العليكي

وتبلغ ثورة هذه العاشقة ذروتها العالية ، عندما تناقش مفهوم «الشرف» الذي يستمسك به المجتمع الشرفي :

« هل انا شريفة ؟ انا التي احدث الرجال ، واحب صداقة الرجال ؟ هل يعتبرني الناس شريفة ؟ انا التي اراقق شابا الى السينما ، واستقبله في بيتي ؟ ... » ، « يقولون عندنا عن امرأة تثير الضغائن ، وتحوك الفتن ، وينخر قلبها الحسد ، ولا تترك فرصة تمر دون ان تسيء فيها الى الاخرين ، انها شريفة ، لانها لا تخاطب الرجال ! وينتمون بقله الاخلاق ، فتاة طاهرة طيبة ، لا تريد للاخرين سوى الخير ، لانها احبت رجلا ووهيته نفسها ! هذا هو المنطق في بلدي ... » ، « انا اؤمن بالاخلاق الصحيحة بالافعال التي يرضى عنها الضمير الصحيح لا العادات ... » ، « اليس لي شعور يتدفق مثل شعور زياد ؟ بل اكثر ؟ اليس لي جسد تنهشه الشهوة مثل زياد ؟ » ، « انا لم اشعر بالحرم قبل اليوم ، لانني لا استطيع بل لا اريد ان اهب جسدي دون ان افني قلبي ... ولكنني اليوم اتالم .. انا احب .. ! هل الحب محرم ؟ وهل يعلم المجتمع ان كلمة شرف كلها تدوب في حروف الحب ؟ شرف .. شرف .. كل واحد هنا ينادي بالشرف ، ولكن هل هناك واحد يفهم معنى الشرف الحقيقي ؟ وفجأة ، تجسمت امام ناظري قصيدة للشاعرة نازك الملائكة : الاخ الذي يقتل اخته « غسلا للعار » ، ثم يذهب الى الحانة ليشرب بين احضان « الفانية الكسلى » نخب الشرف المستعاد ! نعم ! الشرف كلمة نتفنى بها ، لا عن عقيدة بل عن انانية ، وغرور ، وسخف ! .. !!

فتاة شريفة ، من قلب دمشق ... تناقش هذه القضية بصراحة متناهية . وهي ، في مناقشتها قد تخطىء الرأي ، وقد تصيب كبد الحقيقة ... ولكن المعجب في هذا ، هو جرأتها - وهي الانثى الشابة - وابتدائها لهذا الموضوع الخطير .

وانها لتتصف - بدقة وجرأة - احاسيس شابة بين يدي حبيبتها الاول :

« واحنيت راسي على كتفه ، فتسالت اصابعه تنفذ الخصلات السود من الدبابيس القاسية ، وتعيد الحرية لشلال الشعر العائم .. وارتفعت همساته الخنونة :

« - ريم .. صفرتي .. يا حبيبتي ..

« رفعت نحوه نفري .. فخيبت انفاسي على دفاء كلمانه .. وامتزج شوقه بصلاة عيوني ..

« برفق ... احتوى العشرين عاما بين ذراعيه القوين ، فاخاطبت في ناظريه الشهوة بالحنين .. وتماوج في ناظري الهوى والليل .. « وعلت ، شيئا فشيئا ، همهمة الحب ، بقصر المدى بين شفاهنا ... وتلاشى ، شيئا فشيئا ، خف عيوننا المغمضة ... ضوء الفانوس الاصفر الصغير ... » .

فتحت ريم قلبها للحب ، واشعلته نورا ونارا .

وما يشتعل ويضيء ، يحترق ويفن .

فهل احترق قلبها واصابه الفناء ؟

الحق ، ان قلب ريم قد ماجت فيه - في فترة - ثوره حب لاهبة سخابة ، وتطلعت الى ان تربطها برجلها وشيجة الزواج يشدها اليه حتى اخر العمر . وهنا عطفنا عليها كل العطف ، فقد استطاعت ان تقنمنا بصواب مسكها بعد ان بررتنا لنا خير تبرير ، حتى انجذبنا اليها نرجو معها ان يكمل الزواج حبها الوهاج .

ولكن زياد ، كان يفضل دائما فنه على حبه . والحب عنده مادة

ضرورية لتفذية مشاعره الفنية ، وما ريم ، وسواها ، غير « مواد » ، انهن فتيات ماضيات ، يعبرن به او يعبر بهن ، وريم احدهن . صارحها بذلك ، فقطع نياط قلبها المشتعل .

وعلمت ان فتاة تركية ، على دينه ، قد اقبلت الى دمشق ، فاولاها عناية خاصة . ان «سوزان» مادة اولية جديدة ، تثير فنه الاثير .

وانطلقت الاشاعات : زياد سيتزوج سوزان ..

افصح لها احدى صويحاتها ان زياد وسوزان « اذا تبادلوا الاعجاب ، فلا عائق يقف في طريق زواجهما ... انسيت ان الدين يقرب ما بينهما ؟ » .

فانطلقت من ريم صرخة ، قدسية ، زهراء ، فيها العاطفة الطاغية الصادقة ، وفيها المنطق المفحم الذي لا يدع قارنا في غير اقتناع :

« هل يعتقد الناس ان هذه الفتاة التركية اقرب الى زياد مني ؟ انا التي رضعت معه ينابيع بلدة واحدة .. انا التي تحرفت معه بشمس سماء واحدة .. انا التي شاركت معه ارضنا الشوق الى اقطار سماء واحدة ... انا التي احنو معه على احجار بلدة واحدة ... انا التي اتفنى معه بتاريخ بلدة واحدة .. وانا .. انا التي افني حياتي ، معه ، لازدهار مستقبل بلدة واحدة ... هل هي اقرب اليه مني ، وهي التركية التي تزور ، لأول مرة ، بلادي ؟ .. » .

يا للجنينة ، من مبدعة رائعة الاحساس !

كذلك تمضي القصة بقارئها تغذيه بشحنات من الاحساسات الريفية والثورة الجهرية !

وزياد يابى الزواج . لانه مكسر حياته لفنه . وهي اعصرت قلبها في ايامها معه ، حتى ذوى الحب في ارجاء هذا القلب النابض ، وشاع اليأس واصفرار الخريف وانتفاضة الموت .. وان تصوير هذا الجو ، في القسم الاخير من القصة ، ليوحى اليك باليأس والحزن والاسى جميعا ، حتى لتكاد تدرق الدمع من اجل ريم ، وتكاد شفتاك تنبسان بالكلمة المزرية توجهها لزيد شفاء لفلك الذي يستمر في قلبك .

ولكن الكاتبة ، لم ترد ان تغلق علينا القصة ونحن نحس هذا الاحساس القاسي نحو زياد ، فجعلته يعود اليها طالبا الغفران ، ولكنها ، وهي التي يست من حبها لخطيبتها ومن حبها لحبيبتها ، اصبحت اكثر ايمانا بالفن كشاعرة :

« - احبك يا ريم ... هل تتزوجيني ؟ »

« - يا زياد ... الفن والزواج لا يجتمعان ..

« - ارجوك .. لا يحاريني باراني ..

« - لكنها اصبحت آرائي .. اني مؤمنة بها .. كيف نضحى بفنك ونزوجهني ؟

« - اذا طلب مني ان اختار بينك وبين فني فلن اردد لحظة .. انا لا اريد شيئا غيرك في هذه الحياة ..

« - هل جننت يا زياد ؟ انت تحب فنك .. ويجب ان نعيش من اجل فنك ... ان فنك هو الشيء الوحيد الذي يستحق التضحية . نعم كنت اريد الزواج .. كنت ارحب بالزواج عندما كنت ضعيفة .. نانهة .. لكنك انت با زياد حملتني الى الواقع ... عذمتني ان احب فني ... ان اعنتني بفني ... ان اعيش للشعر ... وانا الان مؤمنة بان الزواج والفن لا يجتمعان .. »

وانتهى الامر بريم الى ان نهب نفسها للفن .

ان الفراغ الذي كانت شكوه منه وبخافه في الماضي ، بدا لها اليوم ،

- التتمة على الصفحة ٩٨ -

## العاشقة الثائرة

— تنمة المنشور على الصفحة ٨٠ —

بديعا ذا معان جميلة :

« ساملا كاسي برحيق الفن ، فالن نبع فياض ، دفق وجود لا يتضب ... مهما غرفنا منه، يظل يعرفنا بالجمال ... ومهما نهلنا منه ، يظل يسكرنا بالامال والحب .. ساهب حياتي للحرف : ساجعل منه الهبي ، ورفيقي ، وعبدي .. فآمره ساجدة ... واعبده ، سيئدة . واشكو اليه همومي كإنسان حبيب .. »

✦

الى هذا المصير انتهت عاشقتنا ريم .

ثارت على المجتمع ، الذي اراد ان يحول بينها وبين ممارستها عاطفتها الانسانية على الوجه الذي ترغب ... ثم ثارت على الحب نفسه ، لانه كما بدا لها اسار يقيد جناحيها فلها الطليق . وانت ، في هذا كله ، متدفع مع ريم العاشقة الثائرة ، متجاوب منساق ، تؤمن بآرائها ، لا يداخلك فيها شك .

وان ما يحملك على هذا الانسياق والتجاوب ، صدق التجربة التي تقدمها اليك الكاتبة ، فهي من حيث الصدق كاملة غاية الكمال . وان الصدق ليتجلى في هذه « الجزئيات » الصغيرة المتدافعة المتراخمة في تضاعيف القصة ، فكل ما يمكن ان يقع بين الحبيبين من تمنع ، ومطاوعة ، ووجد ، وجفوة ، وفرح وارق ، وافتراق .. كل ذلك مدروز ، احدها اثر الاخر ، في تتابع الفصول .. فتأخذك هذه الواقعية ، وتنازلك الرومنتيكية ، فاذا انت ملتذ بالقصة لا تريد ان تقطع قراءتها لقضاء ايسر الامور .

وفي رأيي ، ان ما أثرى القصة بهذه الجزئيات الشيقة ، معين ثمر خصيب ، هو سجل مذكرات اعتمدت على الكاتبة ، فامدها بالفيض الذي لا يتضب .. وان لديها من هذا المعين نصيبا اخر وافرا ، حقيقيا به ان ينثر في قصة من الطول ذاته ، او لعله قصتان .

على ان اعتماد الكاتبة على الحوادث تترى ، وعلى الحوار ، صرفها عن التحليل تسير به اغوار شخصها ، فاذا هي متفرغة لذكر الحوادث كبيرها وصغيرها ، ولتسجيل كل عبارة تجري على لسان احدهم ، دون النفاذ الى ما وراء هذا اللسان من نفس مواردة بالعاطفة والاحاسيس المتضاربة ، عدا احاسيس البطلة الرئيسية ريم ، باعتبار القصة تروى بلسان حالها .

ومن هذا المآخذ الجانبي ، تنتقل الى مأخذ اخر كبير . شخص القصة كثر . يربو عددهم على العشرة .. فهل وفهم الكاتبة حقهم ، من حيث العناية بهم ، واعطاؤهم الدور الفني اللازم لكل منهم ؟

كانت ريم الشخصية الرئيسية الاكلة حقوق غيرها من الشخص . وما في ذلك من باس ، فهي الراوية . ومن احق بالتكلم — اذا اتيح له الكلام — بالحديث عن نفسه وعن احاسيسه وخطواته !

اما زياد ، فقد بدا شخصا ثانويا ، ولكنه لاقى العناية المتوجبة على كل حال . واما الفريد ، فقد طرح جانبا ، ولو ان سماته بدت واضحة وصادقة في اواخر القصة، وقد كان ينبغي ان يشغل حيزا اكبر .

بيد ان العناية بالشخص الاخرى ، قاربت حد الاهمال المريب . ولئن غفرنا قلة العناية « بالست سناء » مثلا و« عصام » و« المريية » و« الخادمة دنا » وليس لنا ان نغفر ، الا ان شخصا ثلاثة في القصة جاءت على

درجة طيبة من حيث التخطيط وبروز الملامح ، ومع ذلك لم يلاقوا العناية الكافية ، وهم « الجدة » و« العم » ، واخص منهم « ناديا » زوجة خال ريم ، انها في الحق ذات شخصية واضحة متسقة وذكية ، لذلك كان يمكن اعطاؤها دورا اظهر في القصة ، وقد اعجبني منها موقفان : وهي تحض ريم على العمل في الوظيفة بمنطقها الرصين (الصفحة ٢٦) لتتحرر من سيطرة الرجل ، ثم وهي تفسف لها حرمان زياد ، هذا الشرقي ، الذي وان عاش في اوربا سنوات الا ان الحرمان في دمه موروث عن الاسلاف (الصفحة ٢٧١) ... ان ناديا شخصية موفقة ، واضحة الملامح ، تختلف عن سائر الشخصيات الثانوية اختلافا جوهريا .

وتصوير الاجواء في القصة كان جيدا ، فانت تحس بانك تحيا فيسي الجو الموصوف كما لو كنت فيه في الواقع . وذلك غاية الإبداع . ولم يتخل التوفيق عن الكاتبة ، الا في رسمها جو الوظيفة ، فكان فاترا لا يشعر بان ريم موظفة تعمل حقا ... ولعل صدق احساس الكاتبة بهذا الفتور ، حملها على ان تسحب بطلتها ، في منتصف القصة ، من الوظيفة ، فقد اصبح توظيفها او عدمه سياتر في مجرى القصة .

اما اللغة ، فسلمية ، مشرقة ، شاعرية ، تستغرقها الصور الماتعة . وقد كان الظن في الكاتبة انها شاعرة باللغة الفرنسية وحسب ، وان العربية لا تطاوعها في بيان افكارها ، فاذا هي تكتب بلغة اجدانها خيرا مما يكتب معظم قصاصي لاقليم ، فتنتزع الاعجاب ، بل تبعث الحرقة والنهول اما الحوار ، فقلما قرأت مثله في قصص كتاب اقليمنا . فهو فني عذب ، سائغ ، عفوي ، ينساب انسيابا ولا يدفع دفعا .

ولقد اعلنت الكاتبة، مضيا مع احترامها للفتها وزهوا في اقتدراها على التعبير بها ، انها تتحدى ان يكتشف لها احد في الكتاب اخطاء لغوية . واني ، مع تسميي بسلامة اللغة في القصة ومع تواضع حصيولي اللغوية ، اقبل التحدي ، فاذكرها ببعض الهفوات ، من ذلك : « وادي معاصي » (ص ١٥١) ، « سنينه الماضية » (٢٠٤) ، « بعضهم البعض » (٢٢٠) ، ... هذه الهفوات التي لا اعتقد الا انها من صنيع عامل المطبعة سامحه الله وغفر له !

بقي ان اشير الى وجه للشبه ما بين «ايام معه» وبين «انا احيا» للكاتبة اللبنانية ليلي بعلبكي . الموضوع يكاد يكون واحدا ، الفتاة التي تبحث عن نفسها ، عن وجودها ، نائرة ، منكرة الاوضاع والتقاليد الى ان تلقى الذي تحب ، فتذيب حبه شمعته تبكي بين يديه ، ثم ينتهي بها الحب الى ذلك المصير . انه قصة الفتاة الحائرة الثائرة العاشقة ، فلا غرابة ان تشابه الموضوعان ، وانما العبرة في المعالجة الفنية ، ولقد فاقت كولييت زميلتها ليلي ، بما ملكت من قياد الفن والاصالة والحوار الشيق . وبعد ...

ان قصصا مطولات ثلاثا ، لروائين سوريين ثلاثة ، قد صدرن خلال العام ١٩٥٩ : « باسمه بين الدموع » لعبد السلام العجيلي ، و«خمر الشباب » لصباح محي الدين ، و «ايام معه » لكولييت سهيل .. هل اقول : كولييت ابرعهم ؟

اكاد اعلن ذلك ، لولا ان تشدني الي العجيلي ، صاحب «باسمه» .. ، واصر من الاعجاب المتين وقد قرأته لسنوات ، فامسك من اعلائي ، انتظارا لآثر جديد تدفعه الى القراء كاتبتنا الشابة ، يكون اكثر نموا من الوجهة الفنية ، وواضح هدفا ، واقرب الى مشكلاتنا الحيوية ، واكثر ذيوغا وخلودا .

فاضل السباعي

درعا ( الاقليم السوري )